

اللغة الأكادية توأمة اللغة الفصحى

بِقَلْمِ إِحْسَانِ مُحَمَّدِ جَعْفَرِ

العرب الأقدمون في القرون الخالية وإنما كانت اللغة القديمة أكثر سذاجة وبساطة، وأعرى عن أساليب الجمال وأدنى في مراتب الكمال مما بلغته لغتنا هذه التي وصلتنا ابتداء من العصر الجاهلي حيث ما أن يتصف القرن السابع الميلادي حتى يجد مؤرخ اللغة نفسه إزاء لغة عامرة، متكاملة، غنية بجاذبيتها واضحة في أساليبها ناضجة في صورها التجريدية، فيما يومنا إلى درجة عالية من الرقي العقلي يتنافى والصورة المشوهة التي صور بها الأخباريون عرب الجزيرة العربية، لقد ورثنا نصوصاً لغوية تعود إلى العصر الجاهلي لا يمكن أن تكون بحالة من الأحوال بدائية لأنها تنسى عن لغة ووصلت إلى مبلغ من الكمال، فضلاً عن أن ما وصلنا من انضباط إعرابي في الشعر الجاهلي يدل بصراحة متانة على تطور طويل الأمد وتقليد عريق في ضبط النحو وهذا بدوره يستبعد وصوله من غير لغة مكتوبة تستحوذ القدرة على تأدية الحركات الأعرابية فشلة اعتقاد يترسخ وهو أن العرب القدماء كانوا يعرفون الكتابة، وأنهم في الزمن الموجل في القدم كانوا يصنعن الكتابة المسماوية المقطعة

اللغة العربية المعهودة، التي تحمل هذا الاسم الآن، لغة سامية، وهذا يعني أنها من الناحية التاريخية إحدى لغات يتضمنها إطار تاريخي معين، كما تسرى فيها خصائص مشابهة معروفة ييد أن العربية تختلف عن هذه اللغات السامية على الرغم من انتهاها إليها، وهذا الاختلاف متوات من أنها لا نعرف نشأة هذه اللغة العربية وأولياتها على وجه اليقين والجزم على غرار ما نعرف به بعض اللغات السامية الأخرى، ومع هذا فاللغة العربية قديمة وقديمة جداً، وليست وليدة القرن الثالث أو الرابع الميلادي، لا وليست حتى وليدة القرن السابع قبل الميلاد، إنما هي أقدم من ذلك بزمن سحيق موغل ولكن انقطعت عن حلقاتها الأولى والاعتقاد الغالب اليوم الذي ما فتاً يتأصل أنها أقدم من السريانية، والعبرية، والكنعانية، والأكادية... وأنها أصلها جميعاً وأرومة كل لغة سامية ومصدرها الذي ابثق عنه.

ومن البدهي أن عريتنا التي نكتب بها الآن ليست هي بعينها التي كان يتكلّم بها سكان جزيرة

ومكسورة للمخاطبة وهكذا... ناهيك عن الضمائر المفصلة واسمي الفاعل والمفعول والاشتقاقات الأخرى نحو وصرا.

وصيغ الأفعال في الأكديمة أقرب إلى الصيغ العربية، وهناك صيغة في الأكديمة لا تزال تحفظها العربية وهذه الصيغة هي «ان فعل» التي تجعل الفعل يتکامل ذاتياً، «وتنقلب النون واوا» في مثل فعل «أنولد» فتصبح بعد إدغامها «أولد» وذلك وفق قاعدة حروف القلب العربية وتبقى تفيذ معنى الفعل الذاتي.

وكذلك ثمة اشتراك وتشابه في الأسماء والفردات بين اللغتين فمن الألفاظ المشتركة الكثيرة نذكر : أب، أم، أخ، مالك، ديان، شمس، نهر، يوم، بيت، باب، لسان، ماء وأكثر الأعداد ومن الألفاظ المتقاربة.

عربي

أكدي

أسماء

إيلو.....	إله
سومو.....	اسم
سامي.....	سماء
أرستيت.....	أرض
ميتو.....	موت
لامو، علامو.....	إله، عالم

حروف

لا.....	لا
ادى.....	حتى
كى.....	إن

وإذا ما صحت هذه المقوله، فإنه يمكننا القول بلا تردد : إن هذه الكتابة يتطورها تفرع عنها ما أسمى فيما بعد بخط المستند المستخدم في الكتابات اليمنية، ومثل هذه اللغة لا بد أن تكون ذات صلة وثيقة بلغة ما كانت في المجال العربي إن لم تكن إحداها متحدرة من الأخرى ! ويشجع على هذا الافتراض الدراسات اللغوية الحديثة والاكتشافات الآثرية الأخيرة.

ولقد كثر الكلام عن اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية الأخرى كاللغة الآرامية، واللغة الكنعانية، واللغة العبرية إلخ... وعلى الرغم من وجود تقارب شديد بين هذه اللغات واللغة العربية، إلا أن هذا التقارب لا يصل إلى حد التشاكل والمداخلة بين الأكديمة والعربية وما نشهده للغة الأكديمة يفرعيها : البابلي والآشوري وبخاصة لغة بابل التي تكلم بها في عصر حمورابي من توافق أو بالأحرى توأمة مع العربية الفصحى من حيث الصيغ والألفاظ والتصريف والأعراب والآصوات يجتمع بنا إلى التأكيد على أن لغة النصوص الأكديمة القديمة التي ترجع إلى عهد حمورابي لا بد من أن تكون متحدرة من العربية ويعد هذا الرأي التلامي الذي تظهره الدراسات المقارنة بين اللغتين بشكل عام وبين الأكديمة وهجات الجنوب العربي القديمة بشكل خاص... فالقواعد الأكديمة القديمة التي وصلتنا هي كقواعد اللغة العربية ونحو نجد فيها صيغة للمفرد والمتثنى (خلافاً للسريانية) والجمع كما نجد الجمع يتضمن بالروا رفعاً وبالباء نصباً (ملكو - ملكي) وتضاف ألف وتناء أو (يت) في حالة جمع المؤنث، وتوجد حالات الرفع والنصب والجر للأسماء (الأعراب) مثل : طابور، طابا، طابي كما في اللغة العربية تماماً وكل ذلك يتم بالكلمة الواحدة المفردة عند تركيبها في الجملة، والصفات تطابق الموصفات في الجنس والعدد وكذلك في الأكديمة ضمائر متصلة تتصل بالأسماء كالياء للمتكلّم، والكاف مفتوحة للمخاطب

وهذا التبادل الطفيف بين ألفاظ اللغتين يمكن أن يرد إلى اختلاف التلهمج، ويتبين ذلك إذا أراد الناطق أن يصرف بشيء من الآناة بالمد والقصر والتلعمج والتلرقن أو الاشمام أو الامالة في أداء الأصوات. ثم إن الأسماء الأكديية هي كالعربية منها ما هو مذكر ومنها ما هو مؤنث والمؤنث ينتهي غالباً بتاء التأنيث، إذ كل كلمة تنتهي بتاء مضمومة أو ملحقة براو هي مؤنث وإن خلت من التاء وبقي الحرف الأخير مضموماً أو ملحوقاً براو فهي مذكر، وعليه فإن ألفاظاً مثل (أماتو، أميتو، ليلاتو، بيتو، مارتو، صغيرتو) هي ألفاظ مؤنثة بينما (بتولو، صغيررو، أمرو، آخر، كاكابو) هي ألفاظ مذكرة، وإذا ما استقرأنا النصوص الأكادية بإمعان فإإننا سنجد أن للأسماء الأكدية مذكراً ومؤنثاً مثل (بتولو - بتولتو) (كلبو - كلباتو) (آخر - آخرتو) وممثل هذا في اللغة العربية (نمر - نمرة، ذئب - ذئبة، غزال - غزاله) وقد وجد أن بعض الأسماء التي سقط بعض حروفها بالاستعمال في السريانية والعبرية لا تزال محفوظة في العربية كما هي في الأكدية مثل «أنف» فإنه ترد بصورة «أنب» في الأكدية بينما سقطت نونها في العربية والسريانية، ولا يخفى أن الباء بالأكدية تقابل الفاء بالعربية وهذا معروف في الابدال اللغوي.

وكذلك كلمة «العنب» هي في العربية بلغط واحد ومعنى واحد بينما سقطت منها النون في العبرية والسريانية.

وهناك ظواهر لغوية عديدة تتفق العربية والأكدية فيها غير ظاهرة الاعراب والتأنيث بتاء وجمع المذكر السالم بالواو والنون التي ذكرناها، منها ظاهرة التنوين التي هي في الأكدية «ميم» وفي العربية «نون» والميم والنون يتبدلان ويشرح لنا أن ظاهرة «التنويم» في الأكدية إنما مقتبسة من لهجات الجنوب

صفات

رابو.....	عظيم، رب
طابو.....	طيب

ضمائر

أنا.....	أنا كرو
أنت.....	أنت
أنتي.....	أنتي
أخنثو.....	أخنثو
أخنثون.....	أخنثون
أنتم.....	أنتم
أنتن.....	أنتن

أعداد

واحد.....	إيجيت
اثنان.....	شاناي
ثلاثة.....	شلشت
ثلاث.....	شيلاش
أربعة.....	أربت
أربع.....	أربعا
مائة.....	مای أو می

أفعال

ذهب.....	ألك (هلك)
باخار.....	باخار
انتخب.....	انتخب
بني.....	بني
أعطى.....	دنا
دان.....	دين

أن مراد العرب بنبط العراق البابليون الأقدمون وعليه قول المسعودي في «مروج الذهب» : «ملوك بابل هم النبط المعروفون بالكلدانين» ، وهذا فإن بعض الدارسين يرى أن اسم العرب آت من الغرب، ويقولون إنهم أسموا كذلك لأنهم تركوا بابل، والجهوا غرباً، وفي اللغات السامية القديمة حرفا العين والغين يتداولان.

أما الرأي الثاني وهو ما نرجحه : فيرى أن الأكادية هي المتحدرة من أصل عربي والحججة في ذلك أن العديد من المؤرخين يؤكدون على أن الدولة البابلية التي تنتهي إلى حمورابي هي عربية الجار، وكذلك الدولة الكلمانية التي تنتهي إلى الشیخ كلدة (أحد أمراء العرب). وكان بيروسوس المؤرخ الآرامي القديم قد أشار «إلى أن العرب استولوا على بابل وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك مدة 245 سنة»، والمؤرخون وجدوا أن زمن استيلاء العرب القدامى على بابل يوافق عصر حمورابي.

وإذا كان الشأن كذلك، فالبابليون اقتسوا لغتهم من العرب الأولين، المتمين إلى حمورابي أو كلدة الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية العادبة (نسبة إلى قبيلة عاد اليائدة).

وعلى كل فالجزم في هذه المسألة من الأمور الصعبة حسب المعطيات الحاضرة، ولعلها تنجلب باستمرار الاكتشافات الآثرية والوقوف على أسرار لغات الأقدمين.

العربي القديمة التي كانت تأخذ بالتمويم بدلاً من التنوين كالسبائية والمعينة والقتبانية إلخ...

ولعل الطريق الصحيح للبحث عن أساس قواعد اللغة العربية نجده في تضاعيف ما حفظته الكتابة المقطعة من قواعد اللغة الأكادية إذ ما نجهله أصله من قواعد اللغة العربية وحالات إعرابها واستئنافاتها الفاظها نجده في الأكادية.

وهذا التشاكل والتدخل بين عربيتنا وبين الأكادية الذي لمسنا مدى مداه وأبعاده، يطرح سؤالاً، وهو : أي اللغتين هي الأصل؟ وعمن التنوين والأعراب؟ وفي الحقيقة هنالك رأيان، الأول يرى أن لغة عرب الشمال (العدنانيين) متحدرة من الأكادية، وأن إسماعيل بن إبراهيم الخليل الذي تقول المصادر العربية إنه «أول من تكلم بالعربية المبينة الفصيحة» (أي المعرفة) هو الذي أدخل هذين التكييفين (الأعراب والتنوين) على العربية العتيقة التي تعلمها من جدهم بعد مصاهرته لها، ولا يخفى أن موطن إبراهيم والد إسماعيل كان في بابل، وعلى هذا يكون القرىشيون بابلي الأصل، ولما دخلوا جزيرة العرب أدخلوا إليها لغتهم أو بالأحرى هجتهم السامية وبخاصة علامات الأعراب والتنوين ومن ثم كان دور قريش في تهذيب اللغة العربية ووضع أساس اللغة الفصحى الذي طالما تحدثت عنه المصادر العربية وإلى أصل قريش يشير ابن عباس بقوله «نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوفي ربا» وكوفي تل في شمال شرق بابل، قيل إن إبراهيم ولد بقربه، وأنت تعلم

* * *